(١٧)

نيويورك تايمز والجارديان أصابها الرعب فوضعت صورة الجنرال فى إطار مذهب!

الكاتب الفلسطينى الأصل المقيم فى لندن والمحسوب على قطر وحماس.. فشل أن يداري انحيازه وحاول أن يقلل من شأن الحضور الجماهيرى للمصريين فى انتخابات الرئاسة وعزف على نغمة غياب الشباب.. وأبعد من هذا حذر من ثورة قادمة على السيسى وهو يخشى عليه على حد قوله من الاقتصاد والشباب وأشار إلى دكتاتورية محتملة.. يحميها بقبضة حديدية ناسيا أن الناس فى مصر تعانى من الانفلات الأمنى وأنها تأمل فى السيسى إعادة الانضباط واختتم عطوان مقاله بأن مهمة الرئيس السيسى صعبة والفشل قد يؤدى إلى إحدى النتيجتين إما انفجار ثورة شبابية أشد عنفا من الأولى وأما انقلاب عسكرى يصحح أخطاء الانقلاب الأول أو حدوث الاثنين معا وما علينا إلا الانتظار.

وضحك الجد ساخرا بعد أن انتهى من قراءة المقال على حفيده الشاب الذى ضحك هو الآخر باعتباره من الشباب لأن الكثير مما جاء فى مقال عطوان يخالف الحقائق على الأرض.

ولأنها هجمة تأتى من هنا وهناك يكاد مقال "اريك تراجر" و"جلعاد واينج" فى مجلة "فورين أفيرز" بعنوان السيسى الذى لا يقهر" وقد تم نشره فى فبراير ٢٠١٤م.. وتجاوز الكاتبان كل التوقعات فى وقت مبكر جدا على انتخابات الرئاسة وما سبقها من إعلان الترشيح رسمياً نظرا لأهمية المقال وما فيه من تحفز واستفزاز نتوقف أمامه وقد جاء فيه: الصعود السريع لوزير الدفاع المصرى عبد الفتاح السيسى من أدغال البيروقراطية العسكرية إلى أن أصبح رمزا وطنيا، يعكس الحالة المزاجية للشعب المصرى الذى يرغب فى الاستقرار عن طريق وصول رجل قوى إلى سدة الحكم، بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات من الاضطرابات السياسية المستمرة. لكن هذا الظهور المفاجئ يعكس كذلك تقلب الحالة المزاجية لدى المصريين: فالسيسى يمثل اختلافا أيديولوجيا بمائة وثمانين درجة عن زعيم جماعة «الإخوان المسلمين» محمد مرسى، الذى انتخب من قبل المصريين رئيسا للبلاد قبل أقل من عامين ومن ثم أُطيح به بعد مرور ١٢ شهرا. لذا لا ينبغى أن يفاجأ المرء إذا تراجعت شعبية السيسى بسرعة بعد فوزه فى الانتخابات الرئاسية ومواجهة مصر مرة أخرى احتجاجات واسعة. (وليس من المفيد أنه ليس لدى السيسى، مثله مثل كل شخصية سياسية مصرية أخرى تقريبا، أى إجابات واضحة لمشاكل البلاد الاقتصادية الهامة، وارتفاع معدلات البطالة بين الشباب، والسياسات الإقصائية فى الدولة).

بيد أنه، لا يعنى ذلك أن السيسى سوف يواجه نفس مصير مرسى. فحتى لو واجه السيسى انتفاضة، هناك أسباب وجيهة للاعتقاد بأنه سيكون أكثر قدرة على الاستمرار فى الحكم من سابقيه المعزولين، فضلا عن أنه سيكون أكثر قدرة على البقاء من المرشحين المحتملين الآخرين للرئاسة فى مصر.

وعلى الرغم من أن شعبية السيسى تنبع من دوره العام فى الإطاحة بمرسى فى ٣ تموز/ يوليو، إلا أن وضعه كـ "رجل دولة" هو الذى جعل رئاسته أمرا هاما فى أعين العديد من المصريين. وباستثناء مرسى، فإن كل رئيس دولة منذ ثورة "الضباط الأحرار" فى عام ١٩٥٢م قد وصل إلى سدة الحكم إما من الجيش أو الهيئة القضائية، وأولئك الذين أيدوا الانقلاب المصحوب بانتفاضة شعبية فى الصيف الماضى يعزون فشل مرسى فى الغالب كرئيس إلى حقيقة أنه "رجل «الجماعة»" أى «الإخوان المسلمين». ومع ارتفاع وتيرة العنف فى الوقت الحالى، بما فى ذلك زيادة الهجمات الإرهابية من قبل الجهاديين المتمركزين فى سيناء والحملة التى تدعمها جماعة «الإخوان» لاغتيال مسؤولين فى الشرطة، فإن الشعب يدعو إلى ظهور "رجل دولة" لاستعادة النظام.

لكن حتى إن كان العديد من المصريين يفضلون القادة ممن هم "رجال دولة"، إلا أن دعمهم للقادة العسكريين ليس ثابتا. فوفقا لاستطلاع للرأى أجراه مركز "بصيرة" فى مارس الماضى، أراد ٣ فى المئة فقط من المصريين أن يكون "وزير الدفاع أو رجل عسكرى آخر" رئيساً لهم، حتى مع تراجع التأييد الشعبى لمرسى بصورة حادة. ربما تكون صورة السيسى قائمة على أجواء احتفالية، لكن الدعم الذى يحظى به هو سطحى. فقد أشار أحد استطلاعات الرأى الأخيرة الذى أجراه "مركز ابن خلدون"، وهو مؤسسة بحثية مركزها فى القاهرة، أن الدعم الشعبى لترشيح السيسى للرئاسة يصل إلى ٥٤,٧٪ وهى نسبة ليست عالية بشكل كبير، نظرا لعدم وجود منافسين آخرين يتمتعون بالموثوقية أثناء إجراء الاستطلاع. ونظراً للتحديات الاقتصادية والأمنية والسياسية الكبيرة التى ستواجه السيسى إذا ما أصبح رئيسا، فإن المظاهرات الصغيرة المناهضة للجيش التى نشهدها اليوم ربما تصبح مظاهرات جماهيرية حاشدة فى الغد.

وهذا الكلام فيه الكثير من المغالطة والأرقام غير الصحيحة والدليل أن الدعم الذى وصفوه بأنه سطحى بلغ فى الانتخابات ٩٦,٩٪ فيما يشبه الإجماع.. يعزف اريك وجلعاد على

وتر ديكتاتورية السيسى المتوقعة إستنادا إلى خلفيته العسكرى وبالتالى فان الاحتجاجات ضده لن يكتب لها النجاح لأن مؤسسات الدولة أقل رغبة فى الإستجابة للاحتجاجات الجماهيرية بعزل السيسى، وذلك لسببين.

أولا، توحد الشرطة والهيئة القضائية فى رؤية رئاسة السيسى المحتملة بمثابة حصن ضد جماعة «الإخوان» وخط للدفاع الأول ضد أى مسعى لـ «الجماعة» للانتقام.

وخلال احتفالية بعيد الشرطة فى يناير حضرها السيسى، أعرب وزير الداخلية محمد إبراهيم عن دعمه القوى للسيسى بالثناء عليه قائلا إنه "قائد فريد ومنقطع النظير وثاقب الرؤية وحكيم" دعّم قوات الأمن فى جهودها لإرساء الاستقرار، ومحاربة الإرهاب، والحفاظ على أمن مصر.

وذكر أن دستور مصر الجديد، الذى يمنح سلطة غير مسبوقة للشرطة والهيئة القضائية والجيش سوف يعزز من التزام هذه المؤسسات تجاه نظام يرأسه السيسى، وقد قضى وزير الدفاع الكثير من الأشهر السبعة الماضية للتواصل مع رجال الدين وقادة الأجهزة الأمنية ومد اليد إليهم لضمان استمرار دعمهم. وأعرب عن اعتقاده بأن احتمالية تحرك قادة الجيش والمخابرات الحاليين فى مصر ضد نظام يرأسه السيسى قد تقل مقارنة بما كان عليه الوضع فى الحكومات التى ترأسها مبارك ومرسى.

إذ يرى العديد من هؤلاء الضباط أن السيسى نظيرا لهم: فهو ينتمى إلى نفس جيلهم، كمعظم أعضاء "المجلس الأعلى للقوات المسلحة"، كما أن علاقاته الشخصية مع العديد من رموز "المجلس الأعلى" الأكثر نفوذاً تعود إلى عقود مضت.

وتابع: على سبيل المثال عمل السيسى مع خليفته المحتمل فى منصب وزير الدفاع، رئيس أركان الجيش صدقى صبحى، منذ التحاق كل منهما بالأكاديمية العسكرية فى مصر فى سبعينيات القرن الماضى.

وقد بدأ صبحى، شأنه شأن السيسى، حياته العسكرية كضابط مشاة، وواصل دراساته العليا فى "كلية القيادة والأركان المصرية"، والتحق بـ "أكاديمية ناصر العسكرية العليا"، وأكمل الزمالة فى "الكلية الحربية التابعة للجيش الأمريكي"، فى ولاية بنسلفانيا. وفى غضون ذلك، فإن الكثير من القيادة العسكرية الحالية فى مصر التى هى أقل من صبحى فى التسلسل العسكرى تتكون من جنرالات تم تعيينهم بعد فترة وجيزة من تولى السيسى منصب وزير الدفاع فى أغسطس ٢٠١٢م.

وعلى نحو مماثل، يشغل الحلفاء الشخصيين للسيسى مناصب عليا داخل مجتمع الاستخبارات الذى يتمتع بنفوذ فى مصر. فمدير "إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع"، محمود حجازى، هو زميل دراسة سابق للسيسى فى الأكاديمية العسكرية وزميل له فى سلاح المشاة، وابنته متزوجة من ابن السيسى. بالإضافة إلى ذلك، تفيد التقارير أن مدير "جهاز المخابرات العامة" القوى فى مصر، محمد فريد التهامى، كان مرشد السيسى أثناء فترة عمل الأخير فى "إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع"، كما أن سمعة التهامى كمتشدد ضد الإسلاميين تجعل من غير المرجح على وجه الخصوص أن يتحرك ضد السيسى فى حالة وقوع انتفاضة.

ويريد أريك وزميله جلعاد الباحثين فى معهد واشنطن إشاعة أجواء من التشاؤم والتوتر فى وقت مبكر جدا ولأن ما بنى على باطل فهو باطل.. ومع ذلك يجب أن نكشف حجم التآمر من الداخل والخارج على الرجل ولا تتوقف هجمات أريك وجلعاد على شعبية السيسى وقدراته لأنهما يشككان فى أى تقدم إقتصادى ويؤكدان أن التدفقات الإقتصادية على مصر من دول الخليج لن تحمى انهيار الاقتصاد ولا زيادة النمو بأكثر من ٢,٨٪ كما هو متوقع لأن المطلوب ٥٪ للحد من البطالة وذلك فى ظل انخفاض إيرادات السياحة وبالتالى سيتأثر الاحتياطى النقدى الذى بلغ فى أغسطس ٢٠١٣م ما يزيد على ١٨ مليار دولار وهو ما يعنى تأثر شراء الوقود اللازم لمحطات الكهرباء.

ومع ذلك يعترفان بأن انسجام مؤسسات الدولة مع الرئيس الجديد يمكن أن يحل الكثير من المشكلات.. وكنت أتمنى لو أن أريك وجلعاد شاهدا كيف كانت إرادة المصريين قاطعة فى الانتخابات ثم فى الاحتفالات بتتويج السيسى بعد اكتساحه للانتخابات.. فهل يمكن بعد ذلك لكل منصف أن يتجاهل تلك الإرادة التى إختارت الرجل واستجاب لها.. وقررت أن تكون ظهيره وحاميه وعصاه السحرية التى يتوكأ عليها فى رحلة انتشال مصر وإعادتها إلى أهلها.

المدهش أن مثل هذه المقالات المسممة لم تكن ذات أثر.. كما كانا ينتظران هما وغيرهما.. ولأن لعبة السياسة فيها الكثير من المناورات وعمليات الشد والجذب والضرب فى الخفا والمصافحة فى العلن.. تنوعت أساليب النقد والرصد.. فقد أعلن المفكر الإسرائيلى أرييه شافيت أن الكيمياء الإسرائيلية منسجمة مع الجنرال السيسى والنخبة تنظر إليه بعين الإعجاب فقد نجح فى سجن الرئيس المنتخب الذى قام بتعينه فى منصبه وبينما كان الجدال

يدور فى أمريكا حول الموقف من التنوير غير الديمقراطى الذى يمثل الجنرال والديمقراطية غير المستنيرة التى يمثلها الرئيس مرسى.. إلا أن النخبة فى إسرائيل انحازت للجنرال وصفقت للانقلاب العسكرى.. لأن الجنرال حليق الذقن درس فى أمريكا ونحن نؤيد حقه وحق الشعب فى إنهاء حكم رئيس ملتحى برغم أنه منتخب وتعلم فى أمريكا أيضا.

وهكذا يمكن تلخيص وجهة نظر المفكر الإسرائيلى فى اللحية وهو كلام يتسم بالسذاجة ! !

من أول لحظة

ومن اللحظة الأولى التى أعلن فيها المشير السيسى عزمه الترشح للرئاسة بعد استقالته من موقعة كنائب أول لرئيس الوزراء ووزير دفاع وإنتاج حربى من هذه اللحظة توالت ردود الأفعال خاصة على الصعيد العالمى.. فقد جاء عنوان مقال نيويورك تايمز "الجنرال الذى قاد الاستحواذ على مصر سيترشح للرئاسة" وتصدرت فيه صورة للمشير السيسى بحجم عملاق فى إطار ذهبى يبدو أنها معروضة فى أحد شوارع القاهرة. لخص المقال خطاب السيسى حيث قال "إنه صحيحا أن هذا هو آخر يوم لى بالبدلة العسكرية ولكنى سأقاتل كل يوم من أجل أن تكون مصر خالية من الخوف والإرهاب" فيما اعتبرته الجريدة إشارة إلى استمرار الحكومة المدعومة عسكريًا فى معاركها ضد النشطاء الإسلاميين والمتظاهرين فى الشارع. وكذلك أشار المقال إلى ترقية السيسى للفريق صدقى صبحى خلفا له وكذلك تنحية الجنرال أحمد وصفى والذى وصفه المقال بأنه قائد صريح ذو كاريزما كان فى طريقه لبناء شعبية ولكنه فى مقابلة تليفزيونية حديثة أثار عدة تساؤلات غريبة عما يعنيه ترشح السيسى للرئاسة.

لخصت المقالة اللقاء مع الجنرال وصفى الذى قال فيه إنه إذا ترقى السيسى أو أصبح رئيسا للوزراء أو رئيسا فإن ما حدث سيعتبر انقلابا وليس ثورة. ثم أضاف الكاتب ولكن السيسى بعد تصريح وصفى تمت ترقيته بالفعل لمشير وعندما كان يستعد للإعلان عن ترشحه للرئاسة، كانت قوات الأمن تفرق الطلبة المتظاهرين فى جامعة القاهرة وغيرها من الجامعات بقنابل الغاز والخرطوش مما أدى لقتل طالب واحد وإصابة اثنى عشر طالبا آخرين على الأقل. وفى النهاية أوضح الكاتب أن السيسى لن يواجه منافسة ذات قيمة لأنه تم تدمير جماعة الإخوان المسلمين وكذلك رفض الكثير من المرشحين التقدم للرئاسة من دعم الحكومة والجيش للسيسى سيجعله ضامنا للفوز. وتوقع الكاتب أن يكون حمدين صباحى هو المنافس الوحيد للسيسى وإن كان الرهان ليس فى صالحه.

أما مقال صحيفة التلجراف البريطانية فقد تضمن نفس صورة المشير السيسى فى الإطار الذهبى والتى ظهرت فى مقال نيويورك تايمز وجاء بعنوان "مصر: السيسى يمهد الطريق لترشحه للانتخابات الرئاسية بعد استقالته كوزير" وجاء فيه أن المشير السيسى استدعى المجلس العسكرى للاجتماع وقام بتقديم استقالته لهم من منصب وزير الدفاع الذى شغله لفترة ثمانى عشر شهرا تحول فيها من جنرال صغير السن غير معروف لواحد من أقوى قادة الشرق الأوسط.

وتضمن المقال أهم النقاط فى خطاب المشير السيسى الذى ظهر فيه واثقًا من الفوز وقوله إنه لا يعد بمعجزات من المهمة صعبة ولكنه يعد بالعمل الشاق وإنكار الذات.

وصرح أحد قادة الإخوان المسلمين للجريدة بأنه لن يوجد استقرار ولا أمن فى مصر فى ظل حكم السيسى.

تابع المقال بأن قنوات التليفزيون الخاصة والعامة تظهر صورة للسيسى بأن له شعبية عارمة فى مصر وقد يبدو هذا واضحًا من التصويت للدستور الجديد بنسبة موافقة ٩٧٪ وإن كانت الأحزاب الإسلامية والوسطية قد أعلنت عن مقاطعتها له، كما أنه بعض استفتاءات الرأى أظهرت تعاطفًا ما بين الثلث والنصف تجاه محمد مرسى.

وأضاف المقال أنه يبدو أن المرشح الوحيد المؤكد أمام السيسى هو حمدين صباحى الناصرى اليسارى والذى جاء فى المرتبة الثالثة فى الانتخابات السابقة وإن كان يبدو أنه لا يلقى قبولا كافيا خارج المناطق الحضرية.

المنتقدون لقرار السيسى (ومن ضمنهم مجموعات حقوق الإنسان) يخافون عودة الحكم العسكرى الذى ظنوا أنهم تخلصوا منه بعد ٦٠ عاما وكذلك أشاروا لعنف السلطة فى قمع المتظاهرين حيث تم قتل أكثر من ألف شخص فيما يبدو أن الجيش يعيد الديكتاتورية مرة أخرى. ومن جهة أخرى يرى المؤيدون أن الجيش يمتلك القوة والشعبية التى يستطيع بواسطتها العبور بمصر للديمقراطية التى وعد لها بعد ثورة ٢٠١١م والانقلاب العسكرى العام الماضى وأن المشير السيسى أظهر بالفعل بعض القوة عندما قام بتنحية بعض القادة الكبار الذين يقاومون التغيير. وختم المقال بتصريح لخبيرة فى الشرق الأوسط قامت بالتدريس للمشير السيسى فى الكلية الحربية الأمريكية بأنه قد لا يترشح فى النهاية للرئاسة لأن السلطة التى يمتلكها الآن تختلف عن التى كان يمتلكها جمال عبد الناصر.

مقـال الجارديـان جاء بعنـوان "قائد الجيش المصـرى عبد الفتاح السيسـى يعلن عن ترشـحه للرئاسة" ووصف المقالة هذا الإعلان بأنه أوضح إشارة لترشح السيسى بعد الكثير من التصريحات والتسـريبات بخصوص نية السيسى فى أن يخلف محمد مرسى الذى قام بخلعه فى يوليو الماضى. وصرح مصدر عسـكرى رفيع مقرب للسيسـى بأن السيسى انتظر طيلة هذا الوقت حتى يتم إقرار قانون الانتخابات قبل أن يبدأ بحملته الانتخابية. وأضاف المصدر أن المشير السيسى ليس رجلا حرًا كبقية المرشحين بل هو موظف فى الدولة يحترم القانون ولابد أن يتأكد من إتمام كل الإجراءات القانونية قبل القيام بأمر كهذا. وصرح مصدر عسـكرى رفيع آخر أن السيسـى تأخر فى الإعلان عن حملته بسبب تهيبه من التحديات الاقتصادية الكبيرة التى سـتواجه أى رئيس قادم لمصر، وأضاف أن السيسـى كان يبحث عن أى مرشح آخر كفء ليظهر ولكن لم يظهر أحد فماذا يفعل؟ إن الأمر لن يُترك للهواة. وتوقعت الجريدة أن يكتسـح السيسـى الانتخابات من كل مؤسسات الدولة تدعمه وكذلك كل وسـائل الإعلام العامة والخاصة وفى مجلة "كريشـتان سـاينس مونتور" جاء العنوان "سيسـى مصر يواجه مهمة صعبة" وتحدث عن تاريخ السيسـى الذى عينه مبارك رئيسا للمخابرات وقد مال إليه مرسى لسمعته كمسلم تقى وأشار إلى تصريحات الكثير من الإخوان وكان يصلى معهم ويبكى أثناء سماع القرآن الكريم.. لكن كيف اكتسـب هذه الشـعبية فى زمن قياسى وتحول إلى محبوب القلوب ومنقذ البلاد.. فهل يفعلها بحق؟!

ولأن السـؤال يفرض نفسـه أجاب السيسـى عنه فى حديث تليفزيونـى هل تكوينك العسكرى سيطغى على أسلوب حكمك للبلاد؟..

فقـال: الخدمة فى القوات المسـلحة متنوعة.. نحن نتعلم ونـدرس ونتولى الوظيفة بعد الأخرى وفقاً للقدرات والدراسات والمخابرات درجة من درجات السلم الوظيفى لكننا نرى رجل المخابرات بصورة ذهنية معينة.. تخالف الواقع.. وقد أتاحت لى ظروف النشـأة فى حى الجمالية أن أعيش التعددية بين المسجد والكنيسة والمعبد اليهودى.. وفوق هذا لا فرق بين الغنى والفقير والمتعلم والرجل البسيط..

والسيسـى يعرف أن الشائعات والمسئولية جسـيمة.. ويريد دائما أن يثبت للناس بأنه عند حسن ظنهم.. فهل ينجح فى ذلك؟!.

❑❑❑